كلمة البروفسور سليم دكّاش اليسوعيّ، رئيس جامعة القدّيس يوسف في بيروت، في الجلسة الإفتتاحيّة لمؤتمر "مهنة التمريض في صميم النظام الصحّي"، يوم الخميس الواقع فيه ١٧ تشرين الثاني (نوفمبر) ٢٠١٦، في الساعة الرابعة والنصف من بعد الظهر، في مدرّج بيار أبو خاطر، حرم العلوم الإنسانيّة.

١. يشرّفنا ويسعدنا في جامعة القدّيس يوسف في بيروت وفي كليّة العلوم التمريضيّة أن نستضيف هذا المؤتمر الثاني الهامّ حول موضوع "مهنة التمريض في صميم النظام الصحّي". اسمحوا لي بدايةً أن أرحّب بمعالي وزير الصحّة الأستاذ وائل أبو فاعور ممثّلاً بالأستاذ أنطوان رومانس. حضوركم بيننا وعلى رأس هذا المؤتمر هو علامة امتنان تعرِبون عنه حيال هذا الجيش من مرتدي القمصان البيض الذين يتفانون من أجل قضيّة وجيهة ألا وهي صحّة جميع المرضى حيث يتواجدون في المستشفيات والمستوصفات والبيوت بقدرٍ كبير من الكفاءة والتعاطف. هذا الترحيب لا يسعه إلا أن يشمل جميع المشاركين في هذه الجلسة الإفتتاحيّة وجلسات هذا المؤتمر العلميّ، معربًا عن شكري للمحاضرين القادمين من قريب أو بعيد أو من مكانٍ أنأى ليعطوننا أفضل المعارف حول مكانة هذه المهنة في إطار النظام الصحيّ العام. أحيّي هذا الحدث العلميّ بقلبٍ مفعمٍ بالعاطفة، وهو حدث قائم بدعمٍ من الوكالة الجامعيّة للفرنكوفونيّة AUF وشركاء آخرين أودّ أن أعرب لهم عن امتناني، وهو حدثٌ يهدف إلى إعادة جمع ممرّضات وممرّضين قياديّين في هذا المجال وقادمين من مختلف البلدان الناطقة بالفرنسيّة والإنجليزيّة والعربيّة، ولا سيّما فرنسا وبلجيكا وسويسرا وكندا والولايات المتّحدة الأمريكّية وساحل العاج والمغرب وتونس ...، لنفكّر معًا ونتبادل مختلف الموضوعات المتعلّقة بمهنة التمريض بكلّ أبعادها.

٢. أيّها الأصدقاء الأعزّاء، كانت جامعة القدّيس يوسف تتمتّع برؤية بعيدة المدى، حين أنشأت مدرسة للمرّضات الزائرات في العام ١٩٢٩ وكذلك أوّل كليّة للعلوم التمريضيّة في لبنان في العام ١٩٨١ مُرفَقة ببرامج الإجازة والماستر. وهكذا يبلغ عمر المهنة على التوالي ٣٥ عامًا و٨٧ عامًا

في جامعتنا. منذ ذلك الوقت ومنذ تأسيس كليّات أخرى ومدارس للتمريض أخرى في البلاد، شقّت مهنة التمريض طريقها لتصبح واقعًا لا مفرّ منه في مراكزنا الصحيّة. فلنطرح السؤال بشجاعة : ماذا يمكن لمستشفى أو مركز صحّي أن يقوم به من دون وجود الناشط للممرّضين والممرّضات ؟ في الواقع أصبح الإهتمام بهم في مجال إدارة مختلف الأعمال الصحيّة الرعائيّة ومتابعة المرضى أمرًا أساسيًّا من الناحية الاستراتيجيّة. ولكن في الذهنيّة العامّة وفي أدب وسائل الإعلام، مكان الممرّض أو الممرّضة مهمّش ليصبح مجرّد مساعِد(ة) صحّي(ة). ومن الواضح أنّ أحدًا لا يحاول أن يحلّ مكان أحد في المجال الصحّي، فكلّ مهنة لها مكانها ومواصفاتها. لذلك، غرض هذا المؤتمر من بين أمور أخرى، تسليط الضوء على الدور الرئيسيّ الذي يمكن أن يلعبه الممرّضون والممرّضات اللبنانيّون في النظام الصحّي. في الواقع، بوجودهم المستمرّ في مختلف قطاعات النظام الصحّي وكفاياتهم التي تستمرّ في النموّ، وأنا شاهد على ذلك في كليّتنا أو في أماكن أكاديميّة أخرى على الأقلّ، هم يحتلّون موقعًا استراتيجيًّا يتيح لهم تأمين رعايةٍ أفضل للناس ؛ وبتزويدهم بمعارفهم ومهاراتهم وبقيم تخصّصهم، يمكنهم أن يساهموا في تغيير الرؤية المستقبليّة للنظام الصحّي من خلال تحسين الرعاية. بقربه من المريض وفهمه العلميّ لعمليّات الرعاية عبر استمراريّة الرعاية في مجملها، الممرّض أو والممرّضة مهيّأ(ة) للانتقال من وضع المساعِد الذي يحمل بيديه أدوات المعالجة الطبيّة وعلبة الأدوية إلى وضع شريك مع المهنيين الصحّيين الآخرين، ويساعد بالأخصّ على تنسيق الرعاية التي أصبحت تزداد تعقيدًا بالنسبة إلى مجموعة واسعة من المرضى. كلّ هذا يدلّ على أنّ الممرّضات والممرّضين هم في صميم النظام الصحّي. إذا كنتُ أذكر إراديًّا في مداخلتي كلمة ممرّض إلى جانب كلمة ممرّضة، فذلك لأنّي أرى المزيد والمزيد من الشباب يصبون إلى هذه المهنة، ولكن أيضًا لأتوجّه إلى أولئك الموجودين هنا أو سيكونون هنا بعددٍ أكبر في المستقبل ليلعبوا دورًا في إعادة تأهيل المهنة لكي تحتلّ المكان الذي تستحقّه.

٣. في ما يتخطّى هذه المسألة المتعلّقة بالجنس البشريّ، لا يسعني إلا أن أشدّد على أهميّة التمسّك بالقيم المهنيّة واحترامها، تلك القيم التي يتوجّب على كلّ ممرّضة أو ممرّض أن يتسلّح بها ولا سيّما أولئك القادمين من جامعة القدّيس يوسف : "إحترام الآخرين، كلّ الآخرين، في معتقداتهم والتزاماتهم، والجهوزيّة لتلبية كلّ التوقّعات عند ظهورها، والقدرة على اتّخاذ القرارات وابتكار الأجوبة الجديدة على الأسئلة والمشاكل التي تُطرَح دائمًا هنا وهناك".

كلّ هذا لن يحدث من دون تنشئة متينة تُعطى للممرّضات والممرّضين الذين يصبون لتطوير مهاراتهم السريريّة والبحثيّة والإداريّة. وهكذا، تصبح الجامعة ناقلة وحاملة للابتكار والتعليم العالي والبحوث في مجال العلوم الصحيّة، من خلال المؤتمرات العلميّة والندوات والمحاور والموضوعات المُعتمدة في الدكتوراه والمشاريع البحثيّة التي يقوم بها المعلّمون ... أسوةً بهذا المؤتمر الثاني الذي يُعقد في الكليّة بعد مؤتمر العام ٢٠٠٦.

أنا متأكّد أنّ العروض المختلفة ستتيح للمشاركين – ٤٠٠ ممرّض مهنيّ وطالب تمريض – من إغناء معارفهم لكي يحسّنوا ممارساتهم ويوفّروا الرعاية الجيّدة في محيطهم الإستشفائي أو خارج المستشفى. وعلاوة على ذلك، فإنّ مداخلات المدرّسين الأجانب في هذا المؤتمر سيتيح المجال أمام الطلاب والممرّضات والممرّضين اللبنانيين أن يوطّدوا الروابط مع زملاء أجانب من أجل التعاون في مجال التنشئة والبحوث من أجل تطوير الممارسة التمريضيّة في بلادنا. أعزّائي المشاركين، سوف يكون هذا المؤتمر فرصة بالنسبة إليكم لاكتشاف ما يحدث في أماكن أخرى، وإثراء معارفكم المتبادلة من خلال التبادلات، واّتخاذ مواقف جماعيّة لمواجهة التحدّيات واقتراح وجهات نظر جديدة في ما يتعلّق بصحّة الناس لأنّ الممرّضات والممرّضين، أينما وُجدوا، هم فاعلين ناشطين في النظام الصحّي.

٤. أتمنّى أن تغتنم المراكز الصحيّة المدعوّة بكثافة إلى هذا المؤتمر الفرصة لإجراء التغييرات اللازمة في ممارسة التمريض وأن تتدخّل المراكز الأكاديميّة في التنشئة التمريضيّة على جميع المستويات وفي الإدارة التمريضيّة بحيث يتسنّى للممرّضات والممرّضين أن يساهموا كشركاء مع مختلف المهنيين في المجال الصحّي من أجل تحسين وإعادة هيكلة النظام الصحّي وأماكن ممارسته المتعدّدة، بما في ذلك المستشفيات والمدارس ومراكز الصحّة ومرافق الرعاية على المدى الطويل، وكذلك المجتمع.

٥. وأخيرًا، هذا الحدث الذي سيشكّل نجاحًا باهرًا لجامعة القدّيس يوسف، وكلّية التمريض ونقابة الممرّضين والممرّضات في بيروت وكذلك للمهنة ما كان ليتمّ من دون تدخّل واضح ومستمرّ من أشخاص عدّة بما فيهم من هم في اللّجان التنظيميّة والعلميّة برئاسة عميدة كليّتنا المتألّقة السيّدة ريما ساسين وفريقها الكفوء. آمل أن يكون هذا المؤتمر معروفًا ويصل بطريقة جيّدة إلى الشباب الخرّيجين والخرّيجات من المدارس الذين سوف يتعرّفون بطريقة أفضل على مهنة الممرّض باعتباره الشخص الذي يتمتّع بمكانة خاصّة وهامّة في مجال الصحّة. مهنة الممرّض أو الممرّضة هي رسالة خدمة تتّخذ أبعاد الوطن، كلّ وطن وتحديدًا لبنان الذي هو بأمسّ الحاجة لوجود مجموعته التمريضيّة الخاصّة والدائمة، ليبقى لبنان دائمًا محجّةً للصحّة الجيّدة وعنوانًا لجودة العلاجات المتنوّعة، معتمدًا على كفاءة ممرّضيه وهيئاته المهنيّة المختلفة في خدمة هذه المهنة.